عبقريّة الأبجديّة العَربيّة

*** محمد علي عبد الجليل**

أستاذ مُبَرّز في اللغة العربية، باحث مشارك في معهد الإرِيمام، ; معهد الدراسات حول العالم العربي والإسلامي، جامعة آيكس-مرسيليا.

*البريد الإلكتروني: mabdeljalil2003@yahoo.fr

الاستلام	2024/8/20	المراجعة	2024/9/10	القبول	2024/9/30	النشر	2024/10/1

الملخص:

يهدف هذا المقالُ إلى إظهار التطوير الّذي قام به العربُ على الأبجديّة لخلق أبجديَّتهم الخاصّة من خلال تعقُّب أو تتبُّع تاريخي للأبجديّة من خلال أمثلة مقارنة. ويستعرض هذا المقالُ ميّزاتِ الـحَرف العربيّ وأُصولَه التاريخيّة ويُقارنُه بالأبجديات الأُخرى فيُقارنُ، كَمِثالٍ، شكل حرف الألف العربيّ بشكله في الأبجديات الأخرى. كما يَذكُر المقالُ كيف نشأَت الأبجديّةُ الّتي تمتدّ جذورُها إلى الكتابة الهيروغليفية المصرية («مِيدو نِـثْـشَر») بحسب مبدأ التسمية المقطعية («الأكروفوني»). ويقدّم مثالاً وهو كتابة كلمة «بعل».

يُعَرّف الباحثُ الأبجديّة بأنها نظامُ كتابةٍ يعتمد على عدد محدود جدًّا من الحروف يتراوح بين عشرين وأربعين حرفًا.

يُرجّح المؤلّفُ الرأيَ القائلَ بأنّ أصل الـحَرف العربي تطوّر مباشرةً من الـحَرف النبَطيّ بالمقارنة مع السريانيّة؛ والحرفُ النبطيّ تطوّرَ بدَورِه من الحَرف الكنعانيّ السينائيّ الساميّ الشماليّ القديم عبر الحَرف الآراميّ ثمّ الحَرف الفينيقيّ.

ويذكرُ الباحثُ بعضَ أسباب تطوّر الحرف العربيّ : نوعيّة الأدوات، أي ما يُكتَبُ به، ونوعيّة الحوامل، أي ما يُكتَب عليه، وسرعة الكتابة وتوفير التكلفة والجهد والوقت وزيادة الإنتاج. ويُظهِر كيف تطوّر حرفُ الكاف. ثم يعطي مثالاً خطّيًّا من مَشقِه، أي من صناعته، عن مرونة الحَرف العربيّ وقابليّته للمدّ والتشكيل والتركيب والرسم.

الكلمات المفتاحية:

أبجدية – أكروفوني – نَـبَـطيَّة – خطّ – مرونة - انسيابيّة.

The Genius of the Arabic Alphabet

*** Muhammad Ali Abdul Jalil:**

Professor of Arabic Language, **Researcher at the Institute of Research on the Arab and Islamic World** (**IREMAM**), **Aix–Marseille University**.

*Email: mabdeljalil2003@yahoo.fr

Received	20/8/2024	Revised	10/9/2024	Accepted	30/9/2024	Published	1/10/2024

Abstract:

This article aims to highlight the development made by the Arabs in creating their own alphabet by tracing the historical evolution of the alphabet through comparative examples. It discusses the features of the Arabic script and its historical origins, comparing it with other alphabets. For instance, the article compares the form of the Arabic letter **alif** with its counterparts in other alphabets.

The article also explains how the alphabet, whose roots go back to Egyptian hieroglyphic writing (known as "Medu Netcher"), evolved according to the acrophonic principle (naming based on syllables). An example provided is the writing of the word "Baal."

The researcher defines an alphabet as a writing system based on a very limited number of characters, typically ranging from twenty to forty. The author supports the view that the Arabic script directly evolved from the Nabataean script, in comparison with the Syriac script. The Nabataean script itself developed from the ancient Northern Semitic Canaanite-Sinaitic script, through the Aramaic script and then the Phoenician script.

The researcher also mentions several reasons behind the development of the Arabic script, including the quality of tools (what it is written with), the quality of surfaces (what it is written on), writing speed, cost-efficiency, effort, time-saving, and increased productivity. The article shows how the letter **kaf** evolved. The researcher then provides a handwritten example, showcasing the flexibility of the Arabic script and its ability to be extended, shaped, combined, and drawn.

Key words: Alphabet – Acrophonic – Nabataean – Script – Flexibility – Flow.

المقدمـــــة:

قد يبدو العنوانُ مديحًا دينيًّا ميتافيزيقيًّا وقوميًّا مجّانيًّا للغة العربيّة. وهو ليس كذلك، بل مبنيّ على ملاحظات تاريخية تطوّريّة للحَرف العربي وملاحظات جَماليّة نَسخيّة [خَطّيّة، كالّيغرافيّة]. يهدف هذا المقالُ إلى إظهار التطوير الّذي قام به العربُ على الأبجديّة لخلق أبجديَّتهم الخاصّة وذلك بتعقُّب أو تتبُّع تاريخي للأبجديّة من خلال أمثلة مقارنة في شكل الأحرف. يريد الكاتبُ التركيز على الإضافة الّتي أضافوها على الأبجدية السابقة الّتي اشتقّوا منها أبجديّتَهم بالاستناد إلى مقارنة الحَرف العربيّ بأسلافه السابقة ومعرفة لماذا أدخَلوا تغييراتٍ على الأبجدية الأُمّ. كما يُظهِر المقال ميّزات الأبجديّة العربيّة في آخر مراحل تطوّرها.

قبل الكلام عن عبقريّة الحرف العربيّ، يمكن القولُ إنَّ الأبجدياتِ جميعًا نشأَتْ من الأبجدية الفينيقيّة السوريّة الّتي تطوَّرَت في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد عن الأبجديّة الكنعانيّة الأوّليّة [البَدئيّة، القديمة] (السينائيّة أو الساميّة الشماليّة) المتطوّرة بدورها في حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد عن الكِتابة المِصريّة الهيراطيقيّة [الهيريّة]، أي المقدَّسة (حوالي ٣٠٠٠ ق. م)، المُبسّطة عن الهيروغليفيّة [الحروف المحفورة المقدّسة] القديمة الّتي كانت تسمَّى «مِيدو نِـتْـشَر»[1]، أي «الكلمات الإلهيّة» أو «الكِتابة المقدَّسة» (٣٢٥٠ ق. م). وقد بُسِّطَتْ الكتابةُ المِصريّةُ الهيراطيقيّة [الهيريّة] في القرن السابع قبل الميلاد فنتجَ عنها الكتابةُ الديموطيقيّة [الديموطيّة، أيْ الشعبيّة]. يمكن القول إنَّ الهيروغليفيّة والسينائيّة [الكنعانيّة] الأولى هي جَذر شجرة الأبجديّات.[2]

والأبجديّة هي نظامُ كتابةٍ يعتمد على عدد محدود جدًّا من الحروف (أو الرموز الكِتابيّة أو الوحدات الخطّيّة أو الغرافيمات) يتراوح بين عشرين (٢٠) وأربعين (٤٠) حرفًا. وقد وُضِعَت الأبجديةُ بناءً على المبدأ الأكروفوني [acrophonie][3] أو التسمية المقطعيّة أو الاقتطاع الهِجائيّ، بِحيثُ خَصَّصَ واضعو الأبجديّة الرسمَ الصوريّ الّذي يُعَبِّر عن شيء (أو غَرَض) للإشارة إلى الحَرف الأوّل (أو الصوت الأوّل) الّذي تَبدأ بِه الكلمةُ الّتي تشير إلى هذا الشيء. بمعنى آخر، إذا أردتُ تمثيلَ صوتٍ من الأصوات أبحثُ عن شيء يبدأ اسمُه بهذا الصوت فأرسم صورةَ هذه الشيء، وهذه الصورةُ تكون رمزًا لهذا الصوت. فكلمة «أَلِف» تعني «ثَورًا» فاستُخدِمَت صورةُ رأس ثَور للإشارة إلى الحرف الأوّل من الكلمة وهو (ا). ورسمُ البيت لا يشير إلى البيت بل إلى الحرف الأوّل وهو الباء. واستُخدِمَ الرسمُ الصوريّ للماء (على شكل موجة) ليُشير إلى حرف الميم لا إلى الماء. ورسمُ الحيّة يشير إلى حرف «ن» لا إلى الكلمة الّتي تبدأ بحرف «ن» وهي «نون» (حيّة الماء) أو «نحش» [حَنَش] (أفعى). واستُخدِم رسمُ السور [حيط] ليدلَّ على حرف الحاء لا على الحائط الّذي يُحيط بالشيء. وهكذا.[4]

مثلاً، إذا أردتُ أن أكتبَ كلمةَ «بَعل» (إله السموات وحامي الزراعة[5] في الديانات الساميّة القديمة أو الزراعة المعتمِدة على المطر حاليًّا) فابدأ بالصوت «ب» وأبحث عن كلمة تبدأ بصوت الباء فأجد كلمة

---

1 *J'écris en hiéroglyphes*, Evelyne Faivre-Martin & Daniel Soulié, Éditions Courtes et Longues, Paris, 2022, p. 8.

2 Ada Yardeni, *Aventure Lettres. L'histoire de l'alphabet*, traduit de l'hébreu par Rina Viers, Éditions Association Alphabets, 2004, p. 7.

3 Ada Yardeni, *Aventure Lettres. L'histoire de l'alphabet*, traduit de l'hébreu par Rina Viers, Éditions Association Alphabets, 2004, p. 15 note, p. 89, *op. cit.*

4 ملخَّص لبعض مقاطع من كِتاب السيّدة أدا يَرديني، الباحثة في اللغات الساميّة القديمة، بعنوان «*مغامرة الحروف. تاريخ الأبجدية*»، ترجَمَه من العِبرية إلى الفرنسية رينا ڤييرس، منشورات جميعة الألفبائيات، ٢٠٠٤.

Ada Yardeni, *Aventure Lettres. L'histoire de l'alphabet*, traduit de l'hébreu par Rina Viers, Éditions Association Alphabets, 2004.

5 توفيق برّو، *تاريخ العرب القديم*، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، ط٢، دمشق، ١٩٩٦ (الطبعة الأولى ١٩٨٤)، ص ١٢٢.

«بيت» فأرسمُ بيتًا ليكون رمزًا لصوت الباء. ثم أنتقل إلى الصوت الثاني في الكلمة «بَعل» وهو «ع» (حرف خاص بالأبجديّات "الساميّة" أو بتعبير أدَقّ "الأفروأسيويّة") فأتذكّر كلمة «عَين» فأرسم عَينًا لتكون رمزًا لصوت حرف العين. ثُمّ أَصِل للصوت الأخير في الكلمة وهو «ل» فتحضرني كلمة «لَمِد» الّتي تعني «مِنْخَس» [أو مِنْخاس أو مِنساس أو مِهماز] خاص بالثور أو البَقَر وهو عصا معقوفة يُضرَب بها الحيوانُ لينشطَ، فأرسم مِنخَسًا، وهكذا يصير لديّ كلمة «**بعل**». وتُكتَب عادةً من اليمين إلى اليسار.

وقد كان القُدَماءُ يغيّرون أحيانًا اتّجاهَ الكِتابة، فقد كَتَبوا أيضًا من اليسار إلى اليمين، كما في النقش التالي («لِبعلَت»، أي للإلهة «بَعلة») من القرن الثامن عشر قبل الميلاد[6] :

ت ل ع ب ل

نقش سينائي قديم على تمثال صغير لأبي الهول عُثِرَ عليه في مَعبَد سرابيط الخادم جنوب سيناء يعود إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، كُتِبَ عليه (من اليسار إلى اليمين) : «لِبَعلَت».

وأحياناً كانوا يكتبون على شكل خطّ [ثَلْم] الحَرَّاث (أو سِكَّة المِحراث) أو «البوستروفيدون» [boustrophédon] [ثَلْم الثور] تارةً من اليمين إلى اليسار وتارةً من اليسار إلى اليمين.

يمكن القولُ إنَّ الكتابة الكنعانيّة الأولى أو الأوّليّة (١٠٠٠ ق. م) هي كِتابة أبجدية صِرفة تضمّ قرابة اثنين وعِشرين (٢٢) حرفًا، كُلُّ حَرفٍ (وحدة خطّيّة، رَوسَم، غرافيم) يُقابلُ صَوتَـمًا (وحدة صوتية أو فونيمًا)، وهذه الكتابةُ، ككلّ الكِتابات الساميّة لا تَكتبُ حروفَ العِلّة القصيرة، بينما كانت الهيروغليفيّة مؤلّفة من : ١-رموز فكريّة، ٢-ورموز صوتيّة أُحاديّة الحُروف أو ثُنائيّتها أو ثُلاثيّتها، ٣-ومُحدِّدات (رموز غير منطوقة توضع في آخر الكلمة لتحديد معنى الكلمة وتسهيل فهمها وإزالة الغموض، كرسم رجل أو امرأة أو لفّة ورق بَرديّ).[7]

وكانت الكِتابة تتطوّر من حيثُ الشكل بسبب اقتصادي وكمّيّ، لتوفير الوقت والجهد والتكلفة ولتوسيع انتشار النصّ المكتوب. ويمكن اختصار أسباب تطوّر الحَرف أو الرسم داخل الأبجديّة في سرعة الكِتابة وكِبَر حَجم الكمّيّة المكتوبة ونوعيّة الأدوات (ما يُكتَبُ به) والحوامل (ما يُكتَب عليه).[8]

6 Rina Viers, *Notre alphabet prends ses racines en Égypte*, Éditions Alphabets, 2011, p. 23.
7 *J'écris en hiéroglyphes*, Evelyne Faivre-Martin & Daniel Soulié, Éditions Courtes et Longues, Paris, 2022, p. 22, 24, 26, 27 et 28, *op. cit*.
8 Ada Yardeni, *Aventure Lettres. L'histoire de l'alphabet*, traduit de l'hébreu par Rina Viers, Éditions Association Alphabets, 2004, p. 15 note, pp. 16-18, *op. cit.*

والـمُرجَّح أنّ الـحَرف العربيّ قد تطوّر (في حوالي القرن الخامس الميلادي) عن الحَرف النبَطيّ (القرن الثاني قبل الميلاد)[9] المتطوّر عن الحَرف الآراميّ الّذي تطوّرَ عن الفينيقيّ المنبثق عن الكنعانيّ الأوّليّ.[10] ويؤكّد الباحثُ صالح بن إبراهيم الحسن نظريّةَ انبثاق الحَرف العربيّ عن النبَطيّ بقوله : «ومِمّا يؤكّد صحّة هذه النظريّة، القائلة بأنّ الخطّ العربيّ ما هو إلّا الابن الشرعيّ للخطّ النبَطيّ، مجموعة خصائص تتعلّق بترتيب الحروف الأبجديّة وأسمائها وأشكالها وصورها»[11] «وما دامت نسبةُ الخطّ العربيّ إلى الخطّ النبَطيّ تأكَّدَت، فإنّه يَحسُن بنا البحث ولو بشكل يسير في هُويّة الأنباط وسِمات خطِّهم وأصوله الّتي اندرجَ منها. يُجمِع الباحثون الـمُحدَثون على أنّ الأنباط قبائل عربيّة»[12]. وقد أكّدت النقوشُ ذلك : «وكذلك نقْش « عين عبدات » في صحراء النقب، ويعود تاريخه إلى القرن الأوّل الميلادي، وقد كُتِبَ بالحَرف النبَطيّ القريب من الخطّ العربيّ الحاليّ.»[13]

ولا يُعرَف إنْ كان للقول المنسوب إلى عليّ أبي تُراب بن أبي طالب عِند سؤاله عن نِسبة قُريش («نَبَط مِن كوثى»[14]) علاقة بِـنَبَط البَتراء (مملكة الأنباط)، أم بِنَبَط العِراق. ويقال إنَّ من وضعَ الخطّ العربيّ هُم : مُرامِرُ بن مُرَّة الطائيّ (من قبيلة طيء أو طَيايا[15]) وأسلمُ بن سدرة وعامرٌ بن جدرة[16] وإنّهم قاسوا هجاء العربية على هجاء السريانيّة.[17]

يمكن تلخيص ميّزات الأبجديّة العربيّة فيما يلي :

١- بسَّطَت الأبجديّة العربية رسمَ الحَرف النبَطيّ بهدف تسريع الكتابة فتشابهت بعضُها (مثل : «بـ – تـ – ثـ – نـ – يـ» و«فـ - قـ» و«ر - ز»)، ممّا اظطرّ النُّسّاخ إلى التنقيط (الإعجام). فالتشابهُ، رَغمَ أنّه قد يُعَدُّ عيبًا، هو ميزة التبسيط. لقد كان هدفُ الكُتّاب أو النسّاخ أو صُنّاع الكِتابة مزدوجًا (عمليًّا وفَنّيًّا) يتمثّل في الاختصار والسرعة لتوفير التكلفة والجهد والوقت وزيادة الإنتاج من جهة وفي إمتاع العين وزخرفة المساجد والمصاحف من جهة أخرى. وقد اختصروا تسمية بعض الحروف فصار «بيت» «باءً»، و«داليت» «دالًا»، و«جيميل» «جيمًا»، و«طيط» «طاءً»، و«لاميد» «لامًا».

---

9 صالح بن إبراهيم الحسن، *الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط*، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ٢٠٠٣، ص ٣١.

10 Ada Yardeni, *Aventure Lettres. L'histoire de l'alphabet*, traduit de l'hébreu par Rina Viers, Éditions Association Alphabets, 2004, p. 15 note, p. 18, *op. cit.*

11 صالح الحسن، *الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط*، المرجع المذكور، ص ٢٨.

12 المرجع نفسه، ص ٣١.

13 محمد عبد الشافي القُوصي، *عبقرية اللغة العربية*، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ٢٠١، ص ٤٥ – ٤٦.

14 *لسان العرب*، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، المجلّد الثاني، «كوث»، ص ١٨٢، العمود الأول. وكذلك *تاج العروس* للزبيديّ، ج٥، ص ٣٣٦ («كوث»)، ومعجم *البلدان* لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج٤، ص ٤٨٨.

15 ذكَر جواد عليّ في *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، دار الساقي بمساعدة جامعة بغداد، ط ٢، ١٩٩٣ م، ج ٤، ص ٢١٩ : «وَطَيّء من القبائل التي كان لها شأن كبير قبل الإسلام, ولعلَّها كانت من أشهرها وأعرَفِها قُبيل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد، بدليل إطلاق السريان كلمة "طيايا" على كلّ العرب، من أيّ قبيلة كانوا، أي : إنّها استُعمِلَت عِندَهم بمعنى "عرب"، وأصلها من اسم القبيلة التي نتحدَّث عنها وهي قبيلة "طَيّء".»

16 المرجع المذكور، محمد عبد الشافي القُوصي، *عبقرية اللغة العربية*، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ٢٠١، ص ٤٥ – ٤٦.

17 *فتوح البلدان*، البَلَاذُري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨ م، ص ٥٣. وكذلك «*المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*»، جواد عليّ، دار الساقي، ط ٤، ٢٠٠١م، نسخة المكتبة الشاملة الرقمية.

ومثال على تبسيط الحرف العربيّ نأخذُ الرسمَ البدئي لحرف الألف (ا) الّذي كان يُرسَم على شكل رأس ثور بقرنَين وعين والّذي تَمَّ تبسيطه في الرومانيّة بثلاثة خطوط (A) بينما في العربية اِختُزِلَ في خطّ واحد (ا) حيثُ بَسَّطَ النُّسّاخُ حَرفَ الألف النبَطي المُبَسَّط أساسًا والّذي كان على شكل خطّ يميل أعلاه إلى اليمين مع وجود حَنية مغلَقة في الجزء الأيمن من أسفلِه، فاختفَت هذه الحنية في صورة الألف العربيّة وظهَرَ الأَلِفُ في نقوش ما قبلَ الإسلام خطًّا مستقيمًا يميل إلى أنْ يكونَ عموديًّا مع شِبهِ حَنية صغيرة في جزئه الأسفل ثُمَّ اختفَت الحنية الصغيرة تمامًا وصار خطًّا مستقيمًا في صورته الحاليّة.[18]

			Aα		א	ا
رأس ثور	رسم هندسي مبسَّط لرأس ثور	ألف	ألفا	أَلاف / أَلِف	ا	ألف
الهيروغليفيّة	الساميّة القديمة (السينائيّة الأوّليّة)	الفينيقيّة	اليونانيّة	الآراميّة والتدمُريّة والعِبريّة	الرومانيّة	العربيّة
٣٠٠٠ ق.م	١٥٠٠ ق.م	١٠٠٠ ق.م	٦٠٠ ق.م	٣٠٠ ق.م	١١٤ م	٧٠٠ م

وكذلك الأمر في حروف الدال والهاء والزاي والحاء والكاف والميم والنون والفاء والراء والتاء الّتي كان شكلُها العربيّ أبسط من شكلها اللاتينيّ. ولكنّ التعقيد في الأبجدية العربيّة حَصلَ في كثرة التنقيط (نقط الإعجام وعددها ٢٢ نقطة) حيث تضمّ خمسةَ عشر حرفًا منقّطًا (إذا حسبنا الياء حرفًا مُعجَمًا بنقطتَين لا مهمَلاً) تُسمَّى «حروفًا مُعجَمة» أيْ أُعجِمَت، أيْ أُزيلَت عُجمَتُها [غموضها] بالنقط (وهي : ب، ت، ث، ج، خ، ذ، ز، ش، ض، ظ، غ، ف، ق، ن، ي) من أصل ٢٨ حرفًا أو ٢٩ حرفًا باعتبار الألف حرفًا والهمزة حرفًا. يمكن النظر إلى هذا التعقيد في التنقيط على أنه وفرة وزينة في الخط العربي.

٢- كان التشابه في رسم بعض الحروف قد حصلَ في بعض الأشكال النبَطيّة فميّزَتْها الأبجدية العربية بنَقط الإعجام، كالتشابه بين الجيم والحاء النبَطيّتَين وبين النون والباء والياء النبطيّة.

٣- حافَظَت الأبجديّة العربية على آثار تطوّر بعض الحروف باعتماد أكثر من شكل للحرف الواحد، كشكل الياء النبَطيّ (يـ – ي). أمّا الكاف (**كـ – ك**) المُتطوّر عن رسم كَفّ اليد في الكنعانيّة البدائيّة عبْرَ النبَطية والّذي اختُزِلَ إلى شكل خطّ وإصبعين قريبٍ من الكاف اليونانيّة واللاتينيّة (**K**) ولكنْ نحو اليمين فشكلُه المنفصل أو الأخير (المُتطرّف، الكاف المُعَرَّاة [**ك**]) هو تطوّر لاحق ناتج عن سرعة كتابة الكاف (**كـ**) فقَصُر خطُّها الأفقي الأعلى واستقام ساعدُها [عَضُدُها] العمودي فتشابهَت مع اللام، مِمَّا أَجبرَ النُّسَّاخَ على وضع كاف صغيرة فوق الحرف لتمييزها عن اللام.[19] فنتَجَ عن هذا التطوّر التاريخيّ شكلان من الكاف : كافٌ يُسمَّى «زِناديًّا» وهو الشكل القديم المطوَّر مباشرةً عن النبَطية والسريانيّة (يستهلك مساحةً أكبر وحِبرًا أكثر) (كـ)، وكافٌ يُسمَّى «سَيفيًّا» وهو الشكل الأحدَث (**كـ**).

18 Ada Yardeni, *Aventure Lettres. L'histoire de l'alphabet*, traduit de l'hébreu par Rina Viers, Éditions Association Alphabets, 2004, pp. 20-23, *op. cit.*

19 القلقشنديّ، *صُبح الأعشى في صناعة الإنشا*، دار الكتب المصريّ، القاهرة، ١٩٢٢، ج٣، ص ٨٤ - ٨٥.

٤- خصّصَت الأبجديّة العربية حروفًا للأصوات الّتي أهملَتْها الفينيقيّة والنبَطيّة كالخاء والثاء (ورُبّما كان الظاء والغَين من الأحرف الّتي استعادتها العربيّة وكانت موجودةً في "الساميّة" [الأفروأسيويّة] الأوّليّة الأُمّ)، فصار عدد الحروف تسعًا وعشرين (٢٩) رسمًا (باعتبار الهمزة (ء) حرفًا [غيرَ عِلّة، "صامتًا"] والألف اللّينة (ا) حرفًا آخَر [عِلّة، "صائتًا"]) وهو عدد حروف الساميّة الأُمّ[20].

٥- حاولَت الأبجديّة العربيّة أن تكون انسيابيّة الرسم رشيقة مرنة طيّعة زخرفيّة هندسيّة تشكيليّة متناسقة مع بعضها ومع الطبيعة (تشبه الأغصان والعيدان والأوراق والأزهار)، إيقاعية حركية، قابلة للتركيب والتداخل، مستمرّة وأغلبُها موصولة [متّصلة] (إلّا ستّة أحرف لا تتّصل بما بعدها خشيةَ أنْ تتشابهَ مع غيرها وهي : ا د ذ ر ز و)، فطوّرَت الوصل النبَطيّ الجزئيّ لتجعلَ الحرفَ العربيّ مِطواعًا ليّنًا، مِمّا سهَّل ولادةَ الخطّ العربيّ الـجَماليّ الّذي يمتاز بالتناغم والتناسب والانسيابية وقابليّة المَدّ والاستطالة والقَصر وقابليّة التشكيل بأشكال هندسيّة أو نباتيّة أو حيوانيّة وقابليّة التداخُل والتركيب والتناسق والإبداع والزخرفة والمرونة والليونة والطواعية بحيث يمكن تشكيل كتابة ذات دلالة مزدوجة (الدلالة التي يعطيها النصّ المكتوب والدلالة التي يعطيها الشكل الذي يعكس جانبًا من الكتابة (على سبيل المثال : كتابة كلمة "حُرّيّة" بشكل طائر يطير، كما في الصورة المرفقة من خطّ كاتب المقال).

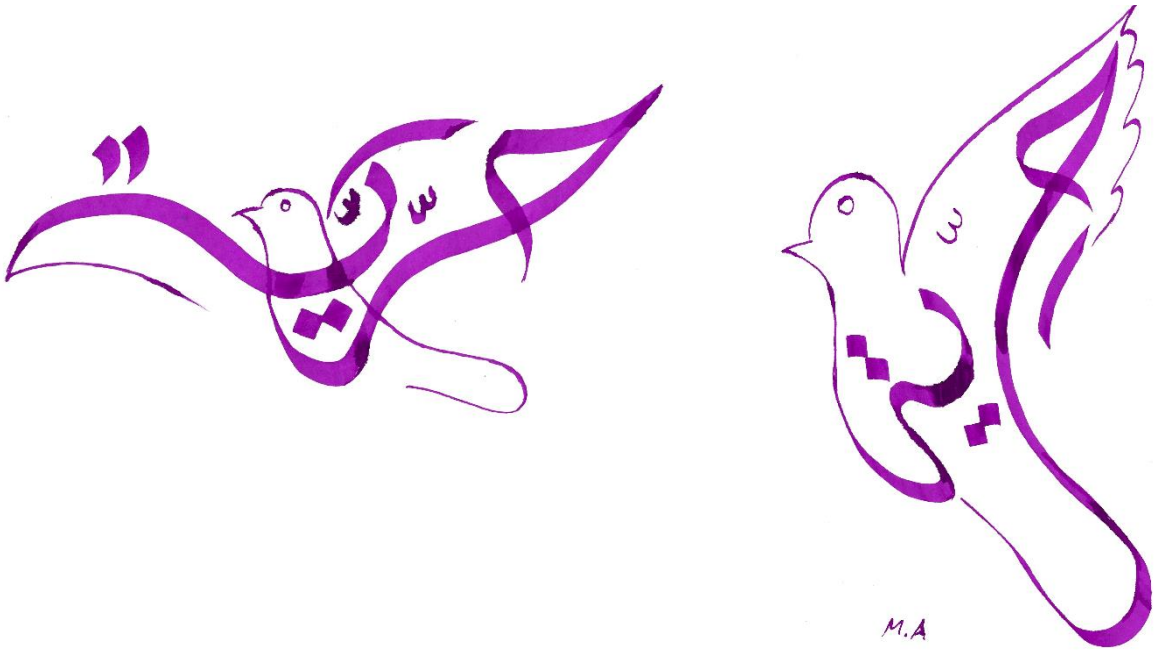

٦- من جمالية الإبجديّة العربيّة أنّها تُكتَب في كلّ الاتّجاهات : مِن أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى ومن اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين. ويمكن تركيب العبارة وتداخلها في الخطّ العربيّ (كخطّ الثُّلُث والديوانيّ الـجَليّ) من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى.

20 Ada Yardeni, *Aventure Lettres. L'histoire de l'alphabet*, traduit de l'hébreu par Rina Viers, Éditions Association Alphabets, 2004, p. 17, *op. cit.*

٧- غيّر صُنّاعُ الكِتابة ترتيبَ الحروف القديم (أبجد) إلى ترتيب بحسب الشكل (ألفباء) لأسباب تعليمية على الأرجح. وهذا يُظهِر أنَّ تطوير الحرف العربيّ كان يتركّز على الشكل وربَّما يُظهِر أيضًا الرغبةَ في الاستقلاليّة عن الترتيب الأبجديّ في باقي اللغات الساميّة وربّما أيضًا بهدف دمج الأحرف العربيّة الروادف (ثخذ ضظغ) في داخل الأبجديّة بخلاف الأبجديّات الأُخرى الّتي أضافت روادفَها في آخر أبجديّتِها كإضافة حروف (Z) و(X) و(U) و(V) و(W) و(Y) في آخر الأبجديّة اللاتينيّة.

إذا قارنَّا الأبجديّةَ العربيّة بِباقي الأبجديّات لِلُّغات الأفروآسيويّة (الساميّة) والهندوأوروبّيّة فإنّ الانطباعات الأوّليّة عن الحروف العربيّة هي أنها :

(١)-كثيرةُ النقاط؛

(٢)-ذاتُ شكل أكثر استدارة وأقلّ زوايا؛

(٣)-بسيطة؛

(٤)-قابلة للتطويع والإضافة والمدّ والقَصر والتداخل أو التركيب؛ فالألف المستقيم يمكن حَنْيُه وإضافة زينة له ووصلُه بما بَعدَه حتَّى وإنْ كان لا يتَّصل كما في خط الديوانيّ والديوانيّ الجليّ وإضافة حُلية [زِينة] أو رأس [زُلُف] له وإطالته كما في كخطّ الثُّلث، ويمكن مدّ الياء وإوجاعها إلى الوراء، كما يمكن مَدّ الباء والتاء والثاء؛

(٥)-مُتشابِهةُ الأشكال وخاصّةً عند اتّصالها حيثُ أنَّ الثمانية والعشرين حرفًا يمكن توزيعها على ثلاثة عشر شكلاً رئيسيًّا أو مجموعةً شكليّةً، وهذه المجموعاتُ الشكليّة هي : ١-(ا أ)؛ ٢-(ب ت ث ن ي ى)؛ ٣-(ج ح خ)؛ ٤-(د ذ)؛ ٥-(ر ز)؛ ٦-(س ش)؛ ٧-(ص ض)؛ ٨-(ع غ ء)؛ ٩-(ف ق)؛ ١٠-(ك ل)؛ ١١-(م)؛ ١٢-(هـ)؛ ١٣-(و).

إذا اعتُبِرَتْ كثرةُ تنقيط الحروف وتشابُهُ أشكال بعضِها عيبًا[21] فقد وظّفَها خطّاطو الكِتابة العربيّة لتكون ميزةً فنّيّة تزيد الأبجديّة العربيّة جَمالاً وأناقة.

نَرَى أنّ تطوير الحرف العربيّ كان منذ ولادته من الحرف النبطيّ بتأثير سريانيّ[22] يتّجه نحو المرونة والانسيابية والنزعة الجماليّة. لنأخذ مثالاً للمقارنة في الشكل كلمةَ «سلام/شلم» :

الأبجديّة	**شكل كلمة «سلام/شَلْم»**
فينيقيّة / بونيقيّة [بُونيّة/قرطاجيّة]	
أوغاريتيّة	
المقابل اللاتينيّ (من اليسار إلى اليمين)	**S[A]L[A]M**

21 يشير الباحث في الإسلاميات الأستاذ كلود جيليو [Claude Gilliot] من جامعة آيكس-مرسيليا في إحدى مقابلاته مع صحيفة «لوموند دو لا بيبل» [Le Monde de la Bible]، بتاريخ ٢١ أيّار/مايو ٢٠١٥، بعنوان : «*في أصول القرآن. كيف ولد النص المقدّس للإسلام؟*» [« Aux origines du Coran. Comment est né le texte sacré de l'islam »] إلى غموض الكتابة العربيّة قائلاً : «من بين حروف الأبجدية العربية الثمانية والعشرين، هناك سبعة فقط غير غامضة».

(« Des vingt-huit lettres de l'alphabet arabe, seules sept ne sont pas ambiguës »)

https://www.herodote.net/Comment_est_ne_le_texte_sacre_de_l_islam-synthese-1739-29.php

22 مرجع سابق : *فتوح البلدان*، البَلاذُري، و*المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*»، جواد عليّ.

عِبريّة	שלם
سريانيّة	ܫܠܡ
نَـبَـطيّة (كلمة «سلام» مأخوذة من عدّة نقوش)[23]	
عربيّة	- سلام - سلام – سلام - سلام سلم

نلاحظ أنّ شكل الحرف العربي وصلَ إلى مرحلة جعلَت الناسخَ أو الخطّاطَ قادرًا على تشكيله وتطويعه والتحكّم فيه، كما في الصورة (كلمة «سلام» بخطّ الديوانيّ من مشق كاتب المقال) :

من خلال منهج تاريخيّ تعاقُبيّ مقارَن تتّضح الإضافة الّتي أضافها العرب على الأبجديّة والّتي تَظهَر فيها النزعةُ العمليّة والجماليّة الّتي أدّت إلى إحداث ثورة في فنّ الخطّ العربيّ وتنوّع كبير في أشكال الخطوط (كوفيّ، ثُلُث، نَسخ، رُقعة، ديوانيّ، ديوانيّ جَليّ، فارسيّ [نستعليق]، مَغربيّ)، فصارَ لكلّ نوع ميّزات واستخدامات خاصّة به. وكان الدافع البصريّ الفنّيّ الجَماليّ عند العرب سببًا إضافيًّا في تطوير شكل الحرف العربيّ بالإضافة إلى السبب الاقتصادي. فتركوا لنا آثارًا فنّيّة باقية ما زالت شاهدةً على حضارة إنسانيّة راقية.

مراجع عربيّة :

1. علي إبراهيم محمد، *تاريخ الكتابة العربية*، دار المشرق العربي، ٢٠١٨، ص ٣٩، ص ٤١، ص ٤٧–٤٨، ص ٥١-٥٥.
2. صالح بن إبراهيم الحسن، *الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط*، دار الفيصل الثقافية ، الرياض، ٢٠٠٣، ص ٢٦-٣١.

23 صور النقوش النبطية مأخوذة من كتاب : سليمان بن عبد الرحمن الذييب، *دراسة تحليلية. نقوش نبطية قديمة*، كُلّيّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٥، رسومات النقوش ص ١٣٩ وما بعدها.

3. محمد عبد الشافي القُوصي، *عبقرية اللغة العربية*OBJOBJOBJOBJOBJOBJOBJOBJOBJOBJOBJOBJ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ٢٠١، ص ٤٥ – ٤٦.

4. القلقشنديّ، *صُبح الأعشى في صناعة الإنشا*، دار الكتب المصريّة بالقاعرة، ١٩٢٢، ج٣، ص ٨٤ ـ ٨٥.

5. سليمان بن عبد الرحمن الذييب، *دراسة تحليلية. نقوش نبطية قديمة*، كُلّيّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٥.

6. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُري، *فتوح البلدان*، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨ م.

7. جواد عليّ، *المفصَّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام*، دار الساقي بمساعدة جامعة بغداد، ط ٢، ١٩٩٣ م، ج ٤.

8. ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ (١٩٩٤ م).

9. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج٤.

10. توفيق برّو، *تاريخ العرب القديم*، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، ط٢، دمشق، ١٩٩٦.

مراجع فرنسيّة :

1. Ada Yardeni, *Aventure Lettres. L'histoire de l'alphabet*, traduit de l'hébreu par Rina Viers, Éditions Association Alphabets, 2004, texte original en hébreu 1983, 1993.

2. Rina Viers, *Notre alphabet prends ses racines en Égypte*, Éditions Alphabets, 2011.

3. Evelyne Faivre-Martin & Daniel Soulié, *J'écris en hiéroglyphes*, Éditions Courtes et Longues, Paris, 2022.

4. *Comment est née l'écriture*, revue Science & Vie hors série N° 219 Juin 2002, pp. 104 – 115.